قصة (الحديث السحري)

بقلم الكاتبة "بسملة إبراهيم"

كانت جَدتي قديمًا تهتم بِقراءة الكتب وهي من توَلى تَربيتي كَأول حَفيدة بِالعائلة ونشأت أنا أيضًا على القراءة، وجَاء دور قِرائتي على كتابٍ ما لَفت نَظرِي فِيه جُزء كان يتحدث عن اهتمام الأمهات في مُساعدة أطفالهن في وضع أهدافٍ صَغيرة لِأنفسهم فَلِمَا لا أفعل ذلك عَمليًا على ابنتي الصغيرة.

- ماذًا تفعلين صغيرتي؟
- بِعيونٍ تكاد تكون مُدمعة قالت: أمي! لَقد يئست مِن المحاولة ولا أدري ماذا أفعل كُلما شدَدت على نفسي لِأُذاكر تتطَاير المعلومات مِن عقلي حتى قبل أن أُخزنها فيه!
- اقتربتُ مِنها بِلطف ثم قُلت لها وأنا أنظر إليها: بما أنه لا يُوجد جدوى مِن هذا دَعينا نخرج إلى الحديقة لِنتحدث سَويًا.

"جاء بِخاطري ما قرأته واستحسنت الفُرصة لِأُطبقه فأحضرت كوب القهوة وقَلم ودَفتر وذَهبت إلى الحديقة"

- ابنتي! بدايةً تلاشِي فِكرة أنكِ غير قادرة على المُذاكرة، ثُم انتبهِي لِحديثي جَيدًا تناولِي هَذا الدفتر وهذا القلم.
- بِذهولٍ شديد ظهر على وجهها قالت: أخذتُ الدفتر وأخذتُ القلم ولكن لحظة! سَوف تُذاكرين لي؟
- ضحكتُ على دهشتها مِما أفعل وقولت لها: ألم أقل لكِ تلاشي المذاكرة؟! والآن ستُسجلين لِي بِالدفتر مَاذا تُريدي أن تَكوني عَليه مُستقبلًا؟ ما هي طموحاتك وأحلامك؟

"بعد أن شرَدت قليلًا حَاولتُ أن أتجنب الحَديث مَعها لِتتأمل فِي مَنظر الطبيعة الخلَّاب لِيُسيطر الهدوء على تفكيرها وتُحدد ماذا تُريد، وبَعد مرور القليل مِن الوقت"

بِفرحة قالت لِي: أمي كَتبت بَعض أحلامي ولكِني أشعر أنني أُريد كِتابة المَزيد، الأفكار مَازالت تَتزايد في رأسي بِشدة.

- حبيبتي؛ (أشرت إلى دفتَرها) قَبل قِراءة مَا دَونتِيه هُنا الآن، مَا حدث لكِ أنه تَم إفراز هِرمون يُدعى الدُوبامين وهَو خَاص بِالسعادة ومَا قومتِي بِه بَعض وضعِك لِأهدافك هو أنكِ تَخيلتي نفسك وأنتِ تُؤدينها وهَذا يَعمل على تحفيز العقل بِشكلٍ كبير، والآن احكِي لِي بِهدوء مَا دَونتيه!

"أتذكر عيناها وهم يَلمعان مِن كَثرة الشِعور بالسعادةٍ والرِضا"

- حسنًا، فِي البداية أريد أن أحصل على مُعدلٍ يُناسب أحلامي فِي الثانوية العامة، ثُم أدخل الكلية التِي أحلم بِها دائما، وبعد إتمام مراحل التعليم أريد أن أسافر إلى جميع بُلدان العالم لِأرى كل شيءٍ يَخطف العين والقلب من الجِمال، وأيضًا تعليم ركُوب الخيل؛ لِأنطلق بِهِ في الهواء دون هدف، وتنمية مَواهبي في الرسم والكتابة وأصبح شخصًا مشهورًا، وأخيرًا وليس آخرًا أُريد أن أهتم بِالأعمال الخيرية لِمُساعدة الناس الغير قادرة على العيش لِنبقى جميعًا آمنين، بلهفة والكثير والكثير من الأحلام أشعر بِسعادة كَبيرة.

- لا أُخفي عليكم سِرًا ذُهلت مِما قَالت؛ كَانت هَذة أحلامي في الصِغر ومِن ثمَّ بدأنا نبحثُ فِي الإنترنت على صورٍ لِلجامعة التي تحلم بِها وبدأت ابنتي أن تتخيل نَفسها وهِي فَتاة جَامعية وكَيف هِي حياة الجامعة كَم هي عالمٌ شَيق وأكثر حُرية قَليلًا مِن المدرسة واستكملنَا مسيرة البحث عن مُعظم أحلامها وذَهبت هِي مِن نفسها بعد قليلٍ من الوقت لِتذاكر.
- وأصبحت ابنتي الآن في مكانتِها التي باتت تَحلم بِها دَائما وأعتقد أن هذا المَوقف التي حدث حينها أو حتى عندمَا تتذكره هُو مَن ساعدها على تَرتيب حياتها والوُصول لِما تُريد.

وضوح الغاية عند الإنسان يسبب له الاطمئنان ويؤدي إلى السعادة فَعندما لَا يكون الهدف واضحًا ومحددًا؛ فإنهُ لا يُحفز صاحبهِ على العمل، دايمًا يكمن المجد فِي محاولة الشخص لِلوصول إلى هدفه وليس عند الوصول إليه.

***